



لم تصل إلينا من إيطاليا مدونات يمكن قراءتها قبل إنشاء روما بل حتى خلال القرون الأولى بعد أنشائها ، كما لم تتوافر لدينا معلومات عن روما كتلك التي وصلت إلينا عن التاريخ الإغريقي المبكر فقد كان للأغريق أساطيرهم ومدوناتهم التاريخية التي بدأت مبكرة بالنسبة للتاريخ الروماني. اذ أن الرومان لم يشرعوا بكتابة تاريخ مدينتهم حتى حدود عام ٢٠٠ ق.م. ولم تكن التواريخ التي سبقتها سوى هياكل هزيلة تتضمن أسماء كبار حكام روما مع موجز لأبرز الأحداث والظواهر الغريبة مثل الكسوف والخسوف . بل حتى تلك المدونات الهزيلة دمرت عام ٣٩٠ ق.م عند اجتياح الغال لروما فأعيدت كتابتها بشكل غير متقن استناداً إلى الذاكرة . فكان مصدر تلك الكتابات النقل الشفهي الذي يتعرض للإضافات والمبالغات لتتلاءم مع أمجاد الأسر (١) .

واستناداً إلى مثل هذه المصادر كتب فابيوس بيكتور Fabius Pictor أقدم تاريخ مترابط لروما في الفترة المبكرة ثم أعقبه عدد من المؤرخين كان معظمهم من الأغريق مثل بوليبيوس Polybius الذين قاموا بتحويل النصوص وترقيعها للتخلص من الثغرات التاريخية الواسعة وذلك باستعارتهم بشكل غير مدروس من النصوص الإغريقية كما سنرى وقد فقدت الكتابات الأولى تلك ، إلا أن معلوماتها الأسطورية وصلت إلى كل من ليفي Livy ودايونييسيوس Dionysius فأخذها على أنها حقائق تاريخية وبقيت كذلك حتى عام ١٨٠٠م (٢) .

لقد كان نتيجة هذه الكتابات والمحاولات أن أقر الرومان أسطورة تحكي قصة بناء روما وتأريخها في عصر الملوك تذكر الأسطورة أن روما شيدت عام ٧٥٣ ق . م وهي السنة التي عدت بداية التأريخ الرسمي عند الرومان برغم

(1) Betten, Op. cit. p. 313.

(2) ibid, p. 314.

وجود تواريخ أخرى تتراوح بين ٨١٤ ق . م و ٧٢٩ ق.م (١) . وانها شيدت من قبل التوأمين روميلوس وروميوس ويعد روميلوس مؤسس السلالة التي حكمت روما والذي ولد من زواج الاله مارس اله الحرب من أميرة لاتينية ابنة ملك البالونكا والقي الطفلان في التير فألقت بهما المياه الى الشاطئ فأخذت ترضعها ذئبة في مكمنها الى ان عثر عليهما احد الرعاة فتولى تربيتهما في الموضع الذي انشئت عليه روما فيما بعد. وعندما شب روميلوس شيد على تل بلاتين حيث كان مكمن الذئبة ، مستعمرة (٢) تجمع فيها الخارجون على القانون من جميع الجهات . فقام هؤلاء بسبي فتيات السابينين واتخذوهن زوجات لهم الأمر الذي أدى الى قيام حرب بينهما نتج عنها توحيد سكان روما . وهي المستعمرة التي انشأها روميلوس ، مع السابينين الذين استوطنوا أحد التلال المجاورة . وتذكر الأسطورة ان روميلوس نظم اتباعه او شعبه من سكان روما بقبائل وعشائر وبطون ، وعين منهم مجلساً للشيوخ وقام بكثير من الغزوات الى الاقاليم المجاورة وأخيراً رفعته الالهة الى السماء بعاصفة رعديّة . وتذكر روايات أخرى أنه قتله الأرستقراطية في المدينة (٣) .

وبعد سنة من خلو العرش تم انتخاب نوما Numa الذي وضع الأسس الأولى للديانة الرومانية كما وضع اسس السلام طبقاً للتعاليم التي اوحى بها الالهة في غابة مقدسة . واعقبه تولوس هوستيليوس Tullus Hostilius الذي كان نسخة من روميلوس في اهتمامه بالحرب والتوسع ثم اعقبه انكوس ماركيوس Ancus Marcius الذي حذا حذو نوما في سياسته وسلمه . اما الملك الخامس فكان تاركوين الأول Targuin the First وهو مغامر اتروسكاني يمثل بداية اعتلاء الأتروسكان لحكم روما اعقبه الملك السادس وهو سرفيوس توليوس Servius Tullius الذي تنسب له اصلاحات بارزة ،

(1) R.M. Ogilvie, Early Rome. p.11 .

(٢) نصحي ، م . س . ص ٧٧ .

(3) Betten, op. cit. p.314.

في الادارة وتنظيم الجيش . واعقبه الملك الأخير وهو لوسيوس تاركوينوس
سوبربوس الملقب بالمتكبر . والذي اتصف عهده بالعنف والقمع والحروب
مما ادى الى قيام ثورة ضده انتهت بإلغاء الملكية واعلان الجمهورية فحل محل
الملك نوع من الحكم يتولى السلطة فيه حاكمان لمدة سنة يسمى كل منهما
قنصلا . وكان ذلك عام ٥١٠ أو ٥٠٩ ق . م (١) .

نلاحظ في هذه الأسطورة امرين : احدهما التأثيرات الأغريقية الواضحة
في صياغتها وتطابقها مع الحقيقة في عدد من جوانبها .

فتحديد عام ٧٥٣ ق . م بداية للتأريخ عند الرومان مقارب لعام ٧٧٦ الذي يمثل
بداية التأريخ عند الأغريق كما ان الانقلاب على الملكية عام ٥١٠ أو ٥٠٩ .
يقابل الانقلاب على الدكتاتورية في اثينا عام ٥١٠ ايضاً كما ان فكرة الآله
البطل الناتج من تزاوج الآله مارس من اميرة لاتينية فكرة اغريقية ومثل هذا
التأثير نلاحظه في التنظيمات الادارية فتكوين روميلوس لمجلس للشيوخ وتنظيم
الشعب الى قبائل وبطون له ما يقابله عند الأغريق .

اما عن الحقائق التي يمكن ان نتوصل اليها من الأسطورة فيمكن القول
إن الملوك الستة الذين اعقبوا روميلوس هم شخصيات حقيقية وربما يكون
تأسيس روما قد تم في منتصف القرن السادس ق . م فيكون هناك حكم ملكي
دام قرناً ونصفاً حكم خلاله ستة ملوك وانتهى حكمهم بانقلاب ارسقراطي عام
٥٠٩ ق . م كما يمكن القول ان لأسماء أولئك الملوك دلالات تاريخية فأسماء
اربعة منهم لاتينية تظهر في اسماء القناصل خلال فترة الجمهورية . اما الاثنان
الأخيران وهما لوسيوس تاركوينوس بريسكوس ولوسيوس تاركوينوس
سوبربوس فقد كانا من الاتروسكان من مدينة تاركويني وهي من المدن
القديمة التي انشأها الاتروسكان في اتروريا ويبدو أن كراهية الرومان للنظام
الملكي كانت شديدة لما انطوى عليه من عسف وجور مما افضى الى اندلاع

(1) Betten, op. cit. p.314.

ثورة بقيادة النبلاء و اعلان الجمهورية . ويبدو أن تلك الثورة كانت عامة ضد
الأتروسكان حيث ثارت في نفس الوقت ثلاث مدن لاتينية أخرى ضد ملوكها
الأتروسكان (١) .

المجتمع الروماني في عصر الملوك

كان المجتمع الروماني في العهد الملكي مجتمعاً ريفياً قوام حياته الاقتصادية
زراعة الأرض ورعي الماشية . وتغلب على ملكية ارضه الرعوية طابع الملكية
الجماعية في حين تتسم أرضه الزراعية منذ اقدم العصور بالملكية الفردية .
ومارس الرومان في عصر الملوك اعمال البستنة فزرعوا الكروم ولكن بشكل
محدود ويبدو أنهم لم يتعرفوا حتى ذلك العهد على زراعة الزيتون .

وشهد المجتمع الروماني نشاطاً ملموساً في مجالي الصناعة والتجارة اذ
احرزت صناعات الفخار والبرونز والحديد قدراً من التقدم فضلاً عن صناعات
الجلود والاعشاب وصياغة الذهب . كما ان هناك ما يدل على وجود نشاط
تجاري مع بلاد اليونان وذلك بالعثور على اواني فخارية كورنثية وأثينية . هذا
ولا بد وأن أثرت صناعة وتجارة الأتروسكان بالمجتمع الروماني (٢) .

شكلت الاسرة حجر الزاوية في بناء المجتمع الروماني حيث كان المجتمع
مكوناً من اسر و بطون وقبائل وكانت الاسرة اكثر بكثير في حجمها من
الاسرة عند الاغريق ولرب الأسرة سيطرة خاصة على ابنائه واحفاده ، طالما
كان حياً ولو كان أولئك الابناء رجالا وذوي مناصب في الدولة كذلك
تخضع زوجة الابن لسلطانه . ولم يعترف القانون الروماني بدرجات القرىبي
من النساء فكان رب الأسرة يحكم اسرته وأسر ابنائه واحفاده بوصفه كاهناً
وقاضياً وملكاً ، فكان له أن يبيع أو يقتل زوجته وبناته غير المتزوجات أو ابنه

(١) نصحي ، م . س . ج ١ ص ٨٥ - ٨٧ .

(٢) نصحي ، م . س . ج ١ ص ٨٩ .

أو زوجة ابنه ويعد كل ما يملكه ملكاً له ، ولم تكن لنسب ابيه شكوى ضده من أفراد أسرته إلا أن رب الأسرة كان في الواقع متأثراً بآراء أقاربه وبالرأي العام والشعور الديني ، فأن بيع الابن المتزوج كان عملاً مكروهاً في المجتمع رغم ان القانون لا يعاقب من يبيع ابنه (١) .

كان المجتمع الروماني ينتمي الى بطون gentes أو Glans يبلغ عددها ثلاثمائة ، وكانت تلك البطون تنتمي الى مجموعة من القبائل عددها ثلاثون قبيلة (Curia) وكانت القبيلة أكثر التقسيمات أهمية في مجال العبادة والحكم اذ كان لكل قبيلة ديانتها الخاصة واحتفالاتها الدينية الخاصة وكهنتها ومعابدها الخاص ونارها المقدسة الخاصة بها . وتدعي كل من البطون الانحدار من جد مشترك . وكانت هذه القبائل الثلاثون تنظم بثلاثة تجمعات عشائرية كبرى (٢) .

وكان المجتمع الروماني في نهاية عصر الملوك يتكون من طبقتين اجتماعيتين وسياسيتين : الأبناء أو النبلاء (Patricians) والعامية (plebians) . فكان ان شعب رومانيا خلال عهودها القديمة يتكون من أبناء العشائر الثلاثة الأصلية ، وكانوا هم المواطنون فيها دون غيرهم فضلاً عن القبائل والبطون التي كانوا يتبنوها من وقت لآخر (٣) ومن المرجح ان هاتين الطبقتين نشأتا بالتدريج لاسبب اختلاف في العرق وانما بسبب العوامل الاقتصادية . والاجتماعية التي مر بها المجتمع الروماني منذ انشاء الدولة بل وقبل ذلك . وكانت طبقة العامة تتألف من متوسطي الحال من ملاك الأرض ومن التجار وارباب الحرف المختلفة وكذلك من الأجراء

(1) Betten, Op. cit. p. 323.

(2) Starr, Chester: A History of the Ancient World (Oxford, 1965) p. 460.

(3) Betten, Op. cit. p. 323.